الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

شرح كتاب مدارج السالكين · الحلقة 23

منزلة الخوف من الله (الجزء الثاني)

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وامام المتقين، وحبيب رب العالمين، وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنت واستقام على شرعه الى يوم الجمع والدين، الحمد لله نحن على اعتاب المجلد الاول، على اعتاب النهاية، يعني اليوم نحن في صفحة في الصفحة الخامسة بعد الخمس مئة وبقيت بعض الصفحات فقط ننتهي من المجلد الاول من كتاب مدارج السالكين، لنبدأ مشوارا جديدا ورحلة في التنقل في منازل ومقامات اوضح من هذه المقامات التي يدور حولها الكلام، وذلك لانه ابن القيم يتكلم في هذه المقامات اليقظة مقام اليقظة والفكرة والبصيرة والمحاسبة والتوبة وما تلاها، في هذه المقامات يحاول ان يضع ارضية وقاعدة يقف عليها المسلم الذي يود ان يعامل ربه بقلبه، وان يفهم وان يخلص الى مفهوم العبودية القائم على تعظيم الله واجلاله والخوف منه ومحبته سبحانه والاقبال بالقلب على الله سبحانه والى غير ذلك من المقامات العالية، كنا قد تحدثنا مقام ومنزلة الخوف من الله عز وجل، وتكلمنا مقدمة، بدأ الهروي صاحب منازل السائلين الذي شرحه ابن القيم، يقول الهروي الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الامن بمطالعة الخبر.

وهذا يعني ان المسلم العادي اذا لم يصل الى درجة الخوف لا يستطيع ان يتحرك نحو الطاعات وهذه قاعدة مهمة قالها صلى الله عليه وسلم من خاف ادمج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة سار ولو بالليل، بعض الناس ان اراد ان يصل يواصل المسيرة بالليل وبالنهار، والعرب كانت

تحبذ الدلج والدلج هي السير بالليل، لان للابل الابل في الليل مع الهواء والصحراء تنشط وتتحرك حركة واسعة وتقطع اشواطا وكذلك من خاف خضة مضاجعه قلبه وخرج من الطمأنينة ومن الامن، والخروج من الطمأنينة والامن مهم، لان الامن قد يفضي قد يفضي بالانسان الى ان يمكر الله عز وجل به، والمكر ان يأخذه الله بطريق خفي فتتحول احواله من الاستقامة الى الانحراف، ومن الصلاح الى الفساد ويخرج عن حد الاعتدال، ويركب المعاصي، واسوأها الذي لا يركب المعاصي، الذي يركب الاهواء والبدع، يعني مثلا ذو الخويصرة التيمي رأس الخوارج كان عابدا، وحافظا، اذا قرأ القرآن منذ ان يستفتح يبكي فلا يرقى له حتى ان عينه غائرة يعني شنو؟

خش اللي جوة يقول لك عينه شنو واقعة مش كده؟ عينه خاشة لشنو؟ لجوا بعدين ملتزم بالسنة السنة قالوا يرفع الازار هو فوق للركبة لحد الركبة، لحد الركبة فوق، وبعدين عابد عبادة شديدة، لكن عندهم صفة، الصفة بتاعتهم الجرأة، واصدار الاحكام بسرعة، للخوارج، شف يا زول عابد عبادة تقيلة ومصلي، يا اخي قال لك لمن يجيب في الصلاة دي، قال ليك تمشي تقضي مشاويرك كلها في السوق وتجي راجع تلقى لسه في الركعة الاولى، عبادة تقيلة، قال للرسول شنو؟ الرسول لما قسم وسلم قسم وفق موازنات، ادى الناس، والناس الكويسين ما اداهم، طوالي قال شنو؟ والله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله، غزالة مرة من الخوارج، لما قاتلت الحجاج بن يوسف، الحجاج ده ما قدروا عليه، قهرته غزالة دي، لانها امرأة خارجية، شايلة السيف وشرسة، دخلت احتلت الكوفة لكن ببضع ساعات بس الحجاج عاد عليها الكرة وكذا، غزالة دي قال له الشاعر اسد علي وفي الحروب نعامة رداء تكثر من صفير الصافر، هلا برزت غزالة في الضحى بل كان قلبك في جناحي طائر صدعت غزالة جنده بعساكر جعلت كتائبه كامس الدابري خلته زي امبارح بعدين غزالة نذرت شوف الخوارج الخطرين نذرت دخلت الكوفة لتصلين في مسجد الكوفة ركعتين.

طبعا خشت في حماية منو؟ العساكر، والعساكر حراس الخاصين واقفين حوالينا حارسينا، صلت ركعتين شكر لله في مسجد الكوفة، الاولى بالبقرة كلها بال عمران وبعد الرسول قال كلاب اهل النار تخيلوا الخوارج كلاب اهل النار، يمرقون من الدين بسوء فهم يعني يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لان ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد، شر قتلى تأديم السماء يا اخي يتجرأ على الرسول وبعدين ما قال لو هذه قسمة ولدي بها والله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تركوه ليجري امر الله القدر عشان تكون في فرقة اسمها الخوارج ناس الخوارج دي الخوف ما عندهم كويس لكن الطمأنينة الى الاعمال والركون اليها مما يؤدي الى تزكية النفس ويدفع العبد الى الغرور بالعبادة هذه ثمرة الخوف انه تخرجه من هذه المسألة عشان كذا قال الانخلاع من

طمأنينة الامن بمطالعة الخبر، بمعنى شنو؟ والله ده كلام رفيع جدا، الانسان اذا امن قل ان يعمل قالوا يا امام الحسن البصري نستمع الى اقوام يخوفوننا حتى تنقطع قلوبنا، وفي نوع من الدعاة كدا، بس يقولون النار والقيامة والزقوم والحميد، يقول له يا شيخنا قال له والله الناس ديت بيقطعوا قلوبنا قال له الحسن البصري من يخوفوني حتى امن احب الي ممن يؤمنوني حتى اخاف.

اللي بيخوفك هنا ده انت بتخاف وبتعمل حسابك يوم القيامة بتبقى امن، يوم القيامة لمن يجوا يقولوا يا ريت لو كان خوفونا فلان تجالس اقواما يخوفوك حتى تأمن يوم القيامة يكن احب اليك اقوام يؤمنونك حتى تخاف يوم القيامة، لكن هذا لا يعني ان يتوازن في الدعوة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرغب وشنو؟ ويرغب ويقول لك وعظنا موعظة بليغة، قال شنو؟ ذرفت منها شنو؟ العلوم ووجلت منها القلوب، برضو هذا لابد منه، ولذلك الامن خطر، ان يكون الانسان امن، الامن معظم لعمله، يدفعه هذا الى الغرور به بالعمل، يخرجها حد الاعتدال يقوده الى الدلال، يبقى مدل يعني زي المدلع كده، زي المدلع، كويس؟ ثم لا يأمن مكر الله عز وجل، والله عز وجل يأخذ الناس بالاسباب الخفية، ومن الاسباب الخفية العقوبة وترك العقوبة، كما قال السلف احيانا يعاقب الله عبدا على ذنب فعله، رحمة به ليرجع، وبعض الناس لا يعاقبهم حتى يسترسلوا ويغفلوا وتقسوا قلوبهم ويموتوا على ذلك بدون احداث توبة، وهذا اشد العقوبة عليهم، واذا كانت العقوبة في الابدان هي اخف من العقوبة في الاديان، يعني مسلا الزول ربنا يعمل له حاجة في جسمه ده.

يعني سايق عربيته عربية انقلب تلاتة مرات وينكسر ويركبوا ليه مسمار ويشدوا، يطلع من المستشفى محترم، احترم الناس متواضع، يتوب الى الله يخلي المعاصي ده، ربنا رحمه، بالرغم انه جاب بس ست شهور ولا سنة، ربنا رحمه، لانه لو خلاه كده لحد ما يموت خاتمة كانت العقوبة سوف تكون اشد يوم القيامة، لذلك هذا من الاخذ بالاسباب الخفية الترك بدون عقوبة، وهنا اورد الهروي سبب انخلاع القلب من الطمأنينة، مطالعة الخبر، مطالعة خبر يعني شو؟ يا اخوان نشوف اصلا امور الوعد الوعد اللي هي الجنة والنعيم والحور العين والرحمة الوعد وامور الوعيد النار وجهنم واحوال اهلها والصغار ده كله وعيد هذا لا يثبت الا بخبر، الا بخبر عن من؟ عن الله عز وجل او عن رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن لا يستطيع احد يقول للناس في الجنة في كده كده، قال لك منو؟ انت شفتها؟ انا ما شفتها، لو الله قال، لو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايضا سمع وطاعة هذا يصدق، ما فيش غير الله عز وجل يكلمني، وهنا قال ان مطالعة الخبر شوفوا يا اخواننا مش معرفة الخبر.

قال شنو؟ مطالعته، طالعوا كويس اطلع عليه وقف عليه، في نار في جنة في كده خلاص، ده بيخلي جنبه ده ما يكون مستقر ولا مرتاح، واصلا المؤمن لا يرتاح الا في الجنة لكن في الدنيا لا توجد راحة باي حال من الاحوال، طيب، هذا الخوف عند الهروي على ثلاث درجات، الدرجة الاولى الخوف من العقوبة، الخوف من العقوبة، قال الهروي وهو الذي يصح به الايمان، ما معنى الخوف من العقوبة؟ العقوبة في الشرع عقوبتان، عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الاخرة، فمثلا السارق تقطع شنو؟ تقطع يده، والزاني بكر اذا كان بكرا واذا كان شنو؟ محصن يرجم، هذه عقوبة، فالخوف من العقوبة مهم، وهل الانسان على الخوف من العقوبة الدنيوية؟ هل يؤجر المسلم على الخوف من العقوبة الدنيوية؟ نعم يؤجر، ليه؟ لانها عقوبة شرعية، عقوبة شرعية، ما الذي شرعها؟ رب لكن التارك للزنا خوفا من الرجم ليس كالتارك للزنا خوفا من الله عز وجل، لا يستوون في شنو؟

في المنزلة وفي المقام، لكن هو حد شرعي، لانه ما خاف الحد الا بعد ان امن به انه من عند الله، الحدنا من ربنا، لانه فيه ملحظ ومعنى من معاني الايمان بالنصوص وبالشرع طيب الخوف من العقوبة واجل ذلك الخوف من العقوبة في الاخرة، حتى في الدنيا يا اخواننا ربنا خوف قال شنو؟ قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هذا ايضا يخاف العقوبة في الاخرة لا شك انها اجل، قال الهروي هو خوف العامة وهذا فيه نظر، ليه؟ لان العقوبة في الاخرة يخوف الله عز وجل بها عباده، ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ وخوف الله بها رسله، خوف الله رسله بالعقوبة، حذرهم قالوا انا يوم القيامة بعمل لكم زي ما عملتم، وهذا من قهره سبحانه كقوله ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ففيه تخويف ولذلك هو منزلة المرسلين.

وهذا ينم على ايمان عميق اصلا، لانه شوف اللي بيخاف من العقوبة يوم القيامة، معناه امن بالله، وامن بقدرته، وامن باليوم الاخر، وبالقيامة، وامن بان الله يفعل ذلك، هذا ايمان عالي جدا، يعني مش المسألة انه الله بيدخلني النار وانا خفتها، انت كان ما عندك ايمان انه في قيامة بتقول ادخل الناس؟ ها؟ معناه في قيامة، والقيامة الله يقومها، وانه الله على كل شيء قدير، وهذا فيه ايمان وايمان عميق، طيب قال وهو يتولد من اين يأتي؟ من تصديق الوعيد، ايوا الخوف ده؟ الخوف؟ الاول عند الهروين، الخوف الاول يأتي من التصديق بالوعيد، هنا ابن القيم له كلام لطيف جدا، يقول الخوف من الشيء يسبقه علم وشعور به، الخوف من الشيء يسبقه شنو؟ علم وشعور به، كيف؟ ضربت لكم مثال بالطفل ما بيعرف الحية، ممكن يمسكها طوالة

يمسكها الدابة، ما ما بيعرف شيء، كويس؟ في علم مسبق، العلم بالشيء والشعور به يسبق الخوف به، الشيء الذي تجهله ولا تعرفه لا تخافه، لكن اذا كنت تعرف ان الشيء مفترس ان الشيء قاتل ان الشيء سام ان الشيء كذا تبتعث شنو؟

تبتعد عنه، طيب التصديق بالوعيد يحتاج الى معرفة يقول لك في نار والنار دي كده لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم الابواب دي ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ والله يخوف خوف والله يقطع القلب، يقطع القلب شوف الايات كلها قرآن كلام كلام وربنا سبحانه وتعالى جل جلاله هو الذي قال شنو؟ ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ ويقول لك ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ بعد ما يخاف، كويس؟ يعني كانه كلامه كويس وهذه اقواله سبحانه وتعالى وهذا كلامه، طيب، التصديق بالوعيد معرفة به، لكن يا اخواننا في ناس ودي مشكلة كبيرة جدا عند علماء السلوك والتربية في الاسلام، مسألة تحتاج الى تحقيق وتمحيص يعني شوفوا لها شوية تخريجات هي ان كثير من الناس عند ارتكابه الحرام وتلبسه به في الغالب يكون عالما بالعواقب ويكون عالما بالمحاذير، يعني في ناس، واللي بياكل اموال اليتيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ عارف الكلام وبعد ده يمسكوهم اليتيم اضربهم.

والله العظيم، انا والله بستغرب، اسأل الله ما يبتلينا يا اخوانا، يمكن قاعدين في بر الامان كده بنقول اشيل الشي ده سهل واكون نزيه لكن والله يمسكه والدنيا دي تلعب القروش دي قاعد مع شيطان طوالي عشرة الاف تطلعها الشيطان راكب فيها فاقول الشخص يعرف الحرام وقد يعرف العقوبة اقل شيء في الاخرة يفعلوها، العلم بضرر شيء وارتكابه محير لعلماء السلوك والتربية، البني ادم يعمل كده، يكون يزني نفسه انه بيعمل في حرام، ليه يعمل اول مرة؟ لانه عند الفعل تسيطر، والذي يستحضر في الذهن لذة المعصية وليس الم العقوبة، وهذا يعني ان العقل والفكر يغيب، وان العاطفة تتمكن، وهذا مشكلة، لكن في تلك اللحظة لم يتذكر العقوبة، يعني ما في زول دار يسرق وبيتذكر قطع وبتزكر القيام وان الله يدخله النار، ما بكون مزكي، بكون مزكي، العربية حيشتريها، والبيت والناس اللي حيعزمني، والشيء اللي حيجيبه ويضربه، والقعدات اللي حيقعدوها، والانوسات اللي هيتونسوها، والمكانة اللي حيلقاها عند الناس، والشالات اللي حيلبسها، يكون مزكر الوجهات دي كلها لكن من بعدك ممكن لما ننقبض والفضيحة تجي القيامة والاخرة وازا في حدود قطيع اليدين بيتزكروا لكن في اللحظة بيتذكرها ودول الناس يعني ان بعض الناس يعلم ان الامر معصية.

وان فيها عقوبة ويفعلها ليه؟ لان داعي الشهوة غلب داعي العقل، هل بيذكرك انه العاقبة وخيمة شنو؟ انه يترتب عليه فضيحة، فيها عار فيها كدا او ممكن ترفدوك يعني واحد شغال محاسب في امان الله يبدأ يشيل ويجر ويختلس، انفدوه تاني بعد ده ما بيلقى شهادة شنو؟ ده خلاص انتهى، ويرقد في البلاط ما لقى شغل لما كان بيدور ما كان متخيل ده كله لانه ده بيستحضر العقل وهو لما يفكر الموضوع ماشي في اطار صحيح، لكن لما يغيب العقل والشهوة واللذة والمتعة المجردة بالشيء تتحكم وتغلب، اصلا لا تقع معصية الا اذا طغى داعي الشهوة وغلب داعي العقل، ودي مشكلة، مشكلة كبيرة جدا وهذا يحتاج الى معالجات ومدارج السالكين جزء من هذه المعالجات بالمناسبة، لذلك العلم بالخوف وحده لا يكفي، لابد من تقوية داعي العلم وذلك من خلال زيادة الايمان، يعني النار ما يكون مجرد عارف انه في نار، يا اخواننا في القرآن في كلام من يعني كلام الله عز وجل كثير عن النار ماذا يقول الله عز وجل؟

قال ﴿هُذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ التكذيب ما تكذيب كلي، في تكذيب على درجات، زي الزول بيقول لك ويعمل شي يدخله النار، دا مكذب ولا مكذب؟ بيقول لك ما في نار وما في قيام ما في اي حاجة، ده تكذيب كامل، لكن في ضرب من دروب التكذيب لا يظهر على الاقوال، انما يظهر على شنو؟ على الافعال والممارسات، وهذا فيه اشكال، ولذلك التربية تقوي داعي المسألة دي، لا معناها نار، ربنا قال ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ بعدين ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ شف احنا كلنا حافظين الاية الحمد لله، شنو؟ في اثناء عمله لمن يعمل الغلط لكن اذا تذكر وقوى هذه المسألة بتعظيم الله الذي خلق النار واوجدها وجعلها مثابا للكافرين والفاجرين والفاسقين فعندئذ ينخلع، طيب فهو يقول الخوف مسبوق بالشعور والعلم، فمحال خوف الانسان مما لا شعور له به، وده كلام صحيح من ابن القيم، وضربنا مثال بشنو؟ للطفل صح ولا ما صح؟

خلي الطفل مثال بل كافر، اصلا انت ما حترجو منه عمل صالح، ليه؟ ولا ايمان بالله لانه اصلا العلم المسبق شنو؟ مادي، فلسفة، كفري عشان كده ممكن يقول لك ما في نار ده يشوف وش الا الخرافات، وان كان النار والجنة مستقرة في كل الاديان، حتى النصارى الموجودين الان في امريكا وفي بريطانيا وغيرهم، بيتكلموا عن الجنة والنار، وارادوا ان يتكلموا عن شيء جميل يقولوا انه شنو؟ الجنة، ممكن يقول لك فلتذهب الى شنو؟ الى الجحيم، عبارات يقولونها بغير اسم؟ بغير قصد يرددونها، لكنها من بقايا ابراهيم عليه السلام، مما بقي لهم من دين من بقاياه، طيب ابن القيم يقول الخوف يتعلق بامرين، اولها درجة المخوف به عندك، محافظ

واللواني، وخوفوك بموظفة محلية، موظف في المحلية، وخوفوك بالعقيد ولا العميد اللي في الشرطة ولا في الجيش، وبواحد جندي ولا وكيل عريف، انت بتخاف اكتر من الصلاحيات عنده شنو؟ والنفاذ في شعورك انه يستطيع ان يفعل شيء، صح؟

طيب، اذا درجة الامر المخوفية، الامر الثاني الطريق المفضي والسبب القائد الى هذا الشيء المخوف، يعني في شيء بيقودك الى انك انت تعمل شيء غلط يقوم يحاسبوك عليه، انت يا اخوان ممكن خلي الشيء ده ممكن في طريق في حفر كثيرة ما تمشي بعربيتها خوفا شنو؟ خوف على شنو؟ وكذلك حتى في البشر؟ يعني الطفل او انت حتى لو كبير حتى لو عارف انه يعني لو عرفت بيزعل ابوك او بتعمله، هنا في حاجتين خوفك من ابوه لانه ابوك انه كان عملتها ابوه ده بيتغير جدا وبيزعل وكده، انت تجنبها، ولله المثل الاعلى، انت اذا قدرت الله حق قدره وعلمت انه على كل شيء قدير، وان وعده حق، وان وعيده حق، لا تفعل شيء يقودك ولا سبب يفضي بك الى غضبه، والى شديد انتقامه سبحانه، ما تتعرض لمقت الله يعني، بالواضح لا تتعرض لشنو؟ لمقت الله، لا تعرض نفسك لما يغضب الله عليك ما تعرض نفسك ابعد اي حاجة ربنا شنو؟

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾؟ كلام خطير جدا، طيب ثم يقول الخوف الدرجة الاولى منه الذي اسماه خوف العامة وخالفناه في ذلك يتولد من تصديق الوعيد، وذكر جناية ومراقبة العاقبة، طيب ذكر الجناية الجناية مهم، اخوانا الزول بيخاف من ربنا ميتين، مراته يكون ما جايب خبر، ستين مرات يجلس مع نفسه خاليا، فيتذكر اياما خوالية اتى فيها معاصي شديدة، او كنت اموت في الايام دي اعمل شنو؟ فذكر جنايته السابقة تؤثر في تحريك الخوف وتوليده وهذا كلام صحيح، من الهروي قال ومراقبة العاقبة، اخوانا ده معناها الكلام اللي قلناه قبل شوية انه مجرد العلم لا ينفع، ينبغي ان يكون العلم معك عند شنو؟ عند المعاصي حتى تستفيد من العلم بالشيء الذي يضر تستفيد منه منعا، الانسان يكون عارف انه مش هتضره ويعمله، اخوانه كلنا، بنعرف اشياء كثيرة اخطاء، لكن بنعملها، عارف انه المفروض يحفظ لسانه كده، في اللحظة دي كده تنفعل، بيسمعوا كلام فارغ، تمشي؟

تقول لك والله انا حصل مكان اقول كذا فكأنه ما كان صح لو انت عند اللحظة بتاعة الفعل تملكت تحكي لي بقى شنو؟ مراقبة العاقبة، من الاشياء المهمة جدا وهي من دلالات كمال العقل، العقل، تلمح العواقب تلمح شنو؟ اي حاجة تعملها قول عاقبة شنو؟ بعدها بيحصل لك شنو؟ يا اخواننا كثير من الناس يلابس المعاصي ويفعل شرا قد يفضي الى شره شر له في دينه وفي شنو؟ في دنياه لانه ساعة تلبسه بالمعصية لم يتلمح العواقب، اما لو انه نظر في المآلات والنهايات والعواقب لاقلع، ولمنع نفسه، هذا اسمه شنو مراقبة

شنو؟ العاقبة مراقبة العاقبة، طيب الدرجة الثانية قال الهروي الدرجة الثانية خوف المكر في جريان الانفاس المستغرق في اليقظة، المشوبة بالحلاوة ده كلام عميق جدا بالمناسبة، هذا كلام عميق، طبعا انت لما تسمعه مرة بتقول كده زين الغاز الغاز مش كده؟ خوف المكر، المكر مكر الله عز وجل بعبده الجريان جريان الانفاس يعني الاوقات يكون شغله كله في موضوع مركز، في اليقظة اخوانا اليقظة ضد الغفلة ايام بيكون غافل وفي ايام بيكون ايام اليقظة ايام ارتفاع شنو؟

الايمان، هو ايام ارتفاع الايمان وحلاوة، يشعر بحلاوة المناجاة، بلذة الصلاة، بلذة العبادة، بلذة القرآن، يشعر بالمعاني دي، يقوم يستغرق فيها يجري معها ولا يذكر توفيق الله ولا مكره، وعندها يأتي المكر بسلب الايمان، وهذه حالة اشعر انها ايضا قضية قوية تعاني منها الاجيال، هي شنو؟ انهم يسيرون في الطاعات ويشعرون لذتها والعبادة والهمة في الطاعة والنشاط، وبعد ذلك يحصل تبدل الخمول والكسل، وفقدان الثبات على الدين، الاستطاعة والمقدرة مداوم في الطاعة هذه ازمة حقيقية، وعرفتها ازمة من خلال نفوسنا، البشرية سريعة التقلب كثيرة التلون، مرات تشعر بانها دايرة الله، ودايرة للاخرة، المناظر الجميلة، سلام، عربية سريعة جدا، يا سلام! يا الله عربية زي دي، ومرة يشعر انه دا حطام دنيا، يعني لا كدا بشيء من الاستعلاء، وانها لا تؤثر فيه، تقلبات عجيبة والله نفسي ولذلك المجاهدة مهمة، وهذا الاختبار الحقيقي، والامتحان والبلاء المبين انك تثبت، ولكن لو تكونون معي على الحالة التي تكونون بها معي في بيوتكم فصافحتكم الملائكة في الطرقات وما استترت عنكم، ولكن ساعة فساعة، ده يوم كامل ده، يقول لك ساعة بساعة امشي احضر الكورة تلات ساعات.

دي تلات ساعات ما ساعات، قال لك ساعة، تلاتة ساعات كورة، بيخش الساعة اثنين والمباراة الساعة كم؟ الساعة سبعة تنتهي الساعة كم؟ في ساعة دي كم ساعة دي؟ ها؟ سبع ساعات؟ سبع ساعات ربع اليوم وتقول لي ساعة في ساعة تضيع ربع يوم في كورة ساعة في ساعة! اقول ايها الاحبة في هذه المسألة استحضار الخوف دائما، يعني هذا معنى ان يستحضر الخوف دائما، وشوف يا اخواننا خوف اهل الايمان خوفهم من شنو؟ اعلى خوف لاهل الايمان شنو؟ خوف اهل الايمان من سلب الايمان، لانه ربنا كلمك قال لك في ناس كانوا طايعين ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ سكان عالي كبير في بني اسرائيل ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ بلعم ابن باعوراء او بلعام ابن بعوراء

يعني كلاهما صحيح، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ واحد تمام، ودي خواتيم يا اخواننا عشان كده اهل الايمان اكتر شيء بيخافوا من الخواتيم، خوف اهل الايمان من سلب الايمان، ومن سلب المعرفة بعد المعرفة، وما ذلك على الله يعني انت علي الله ما عزيز.

عشان تقول انا بعد ما بقيت مؤمن تاني ما ابقى كافر، ولذلك دعاؤهم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ودعاؤهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وهذا دعاؤه صلى الله عليه وسلم في السجود، فدا معناه شنو؟ خوف المكر، بخاف انه يحصل لهم مكر، وهم مستغرقون مع حلاوة واليقظة وكيف يدفع الانسان هذه المسألة يدفعها بكثرة التضرع والافتقار الى الله ان يبقي له الايمان وان لا يسلبه، عشان كده من من الادعية بل في السنة المأثورة اللهم اني اعوذ بك من تبدل نعمتك، وتحول عافيتك، يعني ربنا يكون انعم عليك، هل عندك عند الله عهد؟ يمكن ان تتبدل النعمة وان العافية، اللهم اني اعوذ بك من التحول شنو؟ من تبدل نعمتك وتحول شنو؟ عافيتك، يعني ربنا يعافيك من اشياء، قد يبتليك اخواننا الزور المسلم اللي عمل معصية ده، فبكون المعصية اتركبت في قلبه ما عنده طريقة الا شنو؟

دار يعمل المعصية، ويعمى خلاص تاني، وفعلا حبك الشيء يعمي ويصيب، يعني خلاص قدامه بس المعصية دي، لحد ما يعملها، عشان كدا لا يجوز الاستهزاء والسخرية من اهل المعاصي، عاصي تسأل الله انه يعافيك وشنو؟ ويتوب عليك، لكن ما تقول شنو؟ والله ممكن تعمله وانت تتركب فيك المسألة ثاني ما تريد تمنع نفسك من النار، تسأل ربك شنو؟ العافية، والتحول عافيتك، يا اخوانا شوف ليس على سبيل الازدراء والسخرية والتعالي عليه، تنظر اليه بدافع الشفقة، تتمنى له ان يتوب، يا اخوانا والله فيهم خير، الواحد جه سكران مش هيقول يا ساتر، لما غمض عينه يقول لك يا ساتر، في ناس ربنا زرع فيهم شنو؟ يعني الدفاع عن الدين، هكذا قال عليه الصلاة والسلام ان الله لينصر هذا الدين بالرجل شنو؟ الفاجر وباقوام الله خلاق شنو؟ لا خلاق لهم، لكن انت صاحب المعصية لا تزدريه، قال لا تعير اخاك بمعصية لا تعير اخاك شنو؟

بمعصيتين، يعافيه الله ويبتليك، عشان كده انت لو لقيت لك زول كده يا الله ان شاء الله تتوب عليه، لكن لا من زجره من باب الامر بالمعروف والنهي عن شنو؟ عن المنكر واظهار عدم الرضا، مساعدة له على شنو؟ على التوبة، لكن لا ترى لا تزدريه من اي باب اخر من بقية هذه الابواب، طيب ابن القيم رحمه الله له كلام لطيف، عباراته رقيقة، ونفاذه الى الحقائق مباشرة، يعني بيخش الموضوع طوال، واهم شيء لغته التقريبية الى الاذهان، يعني تصوير المعنويات في صورة محسوسات، يعني ما تقول شنو؟ بينما بدر احواله، اظن لما في لحظة يكون ايمانه عالي كانه في بدر، قال بينما بدر احواله مستنيرا في ليالي التمام اذا اصابه الكسوف، ده المكر

الخفي، بينما بدر في ليالي التمام مستنيرة اذا شنو؟ ها؟ اذا اصابك شنو؟ الكسوف، الايمان عالي فجأة تلقاه في الحفلات، لكن ما قادر يرجع الى الحالة الاولى يكون مستحضر في العبادة وخاشع وعابد ومنيب الى الله ومخبت وتشعر بايمان عالي وحلاوة الطعم طعم العبادة والخوف من الله عز وجل يشعر كانه في الجنة بل يتمنى ان يموت فيها الايام او تلك الايام الراقية لكن بعد ان تتحول وتتبدل.

قلنا ان العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى قال بينما بدر احواله في ليالي التمام مستنيرة اذا اصابه الكسوف، فدخل الظلام فبدله بالانس وحشة، كان عنده انس بالله، وبالحضور كان مستحضر دائما، ذكر الله غيبة بقى يغيب عنه استحضار المعاني وذكر الله، وبالاقبال اعراضا، وبالتقريب ابعاده، لا حول ولا قوة الا بالله، وبالجمع تفرقا قلبه تفرق، بقى ما زي زمان، ده معنى الكلام، وهذه دعوة لدراسة هذه الظاهرة، هي لها اسباب كثيرة جدا يمكن ان نتطرق اليها في ثنايا دروس اه مدارج السالكين، قال والدرجة الثالثة درجة خاصة، ودي اخر حاجة، وليس في مقام اهل الخصوص وحشة الخوف، نشوف هذه مسألة ذكرناها من ذي قبل، ان جلال الله وعظمته تقتضي انه هو الوحيد، الذي تخافه وتقبل عليه، وتخافه وتحبه، وهذا لا يجتمع الا لله، حتى الرسول عليه الصلاة والسلام الرسول بنحبه فقط، صح؟ لكن ان تجمع الخوف والمحبة؟ عند الله، في بشر بتخاف منهم؟

لكن ما بتحبهم اصلا، فالجمع بين الخوف وبين المحبة هذا لا يكون الا لله الواحد الديان، الهروي بيعتقد ان وحشة الخوف انما تكون مع الانقطاع والاساءة، واعماله منحرفة ومنقطعة لله هذا تصيب وحشة الخوف، يعني اولا ما في خوف، ولو في خوف خوف انه يؤخذ بجريرته، اما الانسان لمن يخاف وهو طائع هذا خوف عالي شنو؟ ها؟ خوف الهيبة سماها الهروي شنو؟ هيبة، وهي هيبة متعلقة بذات الله وجلاله، انت يعني تخاف الله ذاتا وصفاتا، كويس؟ ولكن انك ما اسأت، ولذلك كان يعني كانه يقول وهذا المعنى الثاني الذي يخالف المعنى الاول، ان من وصل الى الله لا يخافه وهذا غير صحيح، ليه؟ لان الانبياء والرسل وصلوا وكانوا شنو؟ وكانوا يخافونه، ولكن يقال المعنى الصحيح في يعني في الكلام الهروي ان الله انت تخاف وانت على حالين، اذا كنت مسيئة تخافه وفي قلبك وحشة من ذنبك وليس من الله، واذا خفت وانت طائع بيخاف بعد الطاعة، في زول بيخاف بعد الطاعة، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ عمل الطاعات وخاف، ده خوف بتاع هيبة وجلال، انما معه الطمأنينة، هذا معنى شنو؟

معنى كلامي، لكن قال الهيبة، ما الهيبة؟ عند الهروي؟ شرح ابن القيم كان لطيفا لكلام الهروي لانه كلام الهروي فيه شيء من الايجاز، كيف؟ قال وهي هيبة تعارض المكاشف اوقات المناجاة، وتصون المسامرة احيانا المسامرة، وتفصم المعاينة بصدمة العزة، بالهيبة، قال المناجاة هي تملق العبد وتضرعه لله واستعطافه والثناء عليه بالائه واسمائه وصفاته يا كريم يا حنان ارحمني دا اسمه شنو؟ اسمه شنو؟ المناجاة هذي قال شنو قال؟ تعارض الهيبة دي، المكاشفة اوقات المناجاة، يا اخوانا الانسان لمن يكون بيناجي في ربه بيشعر بقرب شديد، الهيبة دي الخوف الدرجة التالتة دي الهيبة، اللي تخليك انت تكون مطيع وشنو؟ ها وخائف خوف اجلال لله، الهيبة دي لمن تجيك بتقوم بتخلي انت تكون يعني بتتعامل مع الله وتحس بقربه، مندمج تأتيك الهيبة فتعارض المسألة حتى تكون هنالك فواصل بين الربوبية وبين العبودية، ما في ناس يقول لك اندمجنا لحد ما يقول لك خلاص انا الله يتكلم معه، زي ما الناس بيقولوا اعوذ بالله، طبعا اخوان اصله ما حصل، يقول لك شاكرته ونهرته، انه الاولياء ممكن يهددوا الله وينهره، ولي يقول وصل درجة.

يقول له يا الله ما تخلينا نقوم عليك، اعوذ بالله من الكفر، اعوذ بالله من الكفر والالحاد، اعوذ بالله، والله هذا لا يكون ابدا، لانه ما في ادب، هذا والله سوء ادب، واصلا ما حصل زاته، يا اخي الملائكة، ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ جبريل اقرب المقربين الى الله من الخلق يخافونه سبحانه، يقول لك كلام فارغ زي ده؟ يا اخوان هتعرف انه بطرق باطلة، زي ناس الروايات والسينما، يصور لك كلام ينسجه من راسه بس، يا اخي نعوذ بالله من الضلال، اعوذ بالله، لكن قال عشان بعض الناس ما يتوهم هذه الاوهام يقول لك هذه هيبة، تأتي في اوقات المناجاة تعارض المكاشف اللي يقول لك انا والله خلاص، وصلت لدرجة عالية، ثم المسامرة قال وشنو؟ قال وتصون المسامرة احيانا المسامرة، المسامرة عنده ان المصطلحات هؤلاء اخص من المناجاة المسامرة المناجاة مخاطبة القلب للرب، يكون قلبك بيتكلم مع ربنا، قلبك بيقول لله، هذي عندهم اخصاء ودي برضو بصونة بيخلي الزول ما يدخل اشياء المسامرة وتصون المسامرة احيانا مسامرة حتى لا يحصل له شنو؟

الانبساط والدلال، يعني يتعامل مع الله كانه بيتعامل مع الناس يعني، اخوانا الناس اللي بيقولوا الكلام ده في الكلام ده اعوذ بالله، دين جعلوا خالقك المخلوق، قال ولي من الاولياء، قال له يا اخوانا خليكم خلي بالكم قال ملك الموت جه اخذ يروح الحوار الحوار اخذه اخذ روحه دكتورة في الازهر حتى قال لك من كرامات الشيخ ان البقرة كانت تتكلم في واحد من شيوخ الازهر المناقشين قال لهم دي كرامة للشيخ ولا للبقرة؟ لا اكيد قال لهم قال له اديهم الدكتوراه حقق كتاب طبقات؟ قال الشيخ جاء لقى الحوار مات، قال لهم كيف

يموت؟ يموت وما يكلموني؟ قال شنو؟ قال فصعد الشيخ الى السماوات العلى، قلع الارواح دي كلها، يمشي يسلمها لربنا، قال فاعترضه قال له اعد الي روح فلان حواري، رجع لي روح الحوار، قال فضرب ملك الموت وجر القفة الارواح شتت كلها اي زول مات اليوم قال ده مكتوب في طرقته ضيف الله ما قال لك روح فلان حواره كان الحذر الكلام ده كله الحذر منه يا اخوان دي كرامة من كرامات الشيوخ الصالحين والاولياء، والله اقسم بالله ما اساء الى الاولياء والصالحين الا هؤلاء.

الاولياء الصالحين لازم يكونوا مؤدبين ومحترمين وبيقروا قرآن وصالحين، يموتوا ينسجوا حولهم اشياء بها الى مقامات الربوبية والالوهية، يفعلون كما الله يفعل، يا اخي يا اخي، ما في شك، سبق القول مني، لما الله يقول له شنو؟ سبق القول مني معناه شنو؟ خلاص ثاني لا احد تدخل، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ للاسف الشديد فهذا من الدلال وعشان كذا قال شنو؟ قال ابن القيم المسامرة المزعومة قد تؤدي الى الخروج عن ادب العبودية، العبد لازم يكون عبد مع سيده العبد عبد، يا اخي خلي رب العالمين وعبيده ان احنا كلنا والملائكة والانبياء، انت كان عندك في البيت زول مؤجر وبيشغل وخدام؟ مم بتحتاج منه سلوك معين، لازم يتعامل مع ناس البيت باحترام معين، لكن انت مشغله بالاجرة، بيمسح البلاط وكده يجي يعمل في البيت على كيفه، هو ولدك انت بتخليه اثم، ما بتأدبه تعلم ينبغي ان يعلم ان الخلق كلهم لله عبيد الملائكة والرسل والانبياء والصالحون والعلماء والاغنياء والفقراء والوزراء كلهم ينبغي الا يخرجوا من ادب العبودية، العبودية هي الى ادب مسكنة وذل وكذا، هذه العبودية، قال وتفصم المعاينة بصدمة العزة.

المعاين يعني شو يا اخواننا؟ الانسان اللي بيقول انا بلغت درجة عالية من الدين، انا بقيت عالم كبير، اسألوني من اي حاجة انا بجاوبكم الليلة، تقول له كده، يقول انا عارف اي حاجة يقولوها، انا اقرب مني الله ما في، ده كلام بتاع ادعاء، الزول لما يكون عنده الخوف بيهذبوا كيف؟ بيعملوا صدمة باشنو؟ قال العزة دي هي الربوبية فيها ثلاثة حاجات، اولا عزة قوة الله وشدته، لكن الله ده قوي برضو بتخاف منها وعزة سلطانه وقهره، شف ربنا من قهره انبياء يشيل ولده يخليه في السنين كلها، نبي كويس؟ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مليان من الحزن كظيم يعني مليان؟ ليه؟ لانه قاهر فوق عباده نبي يصيبه ابتلاء وامتحانا انبياء يموت ابناؤه، النبي صلى الله عليه وسلم مات ولد ابراهيم ماذا فعل؟ جرت عيناه لظهور علامات العبودية عليه، والبشرية عليه بكى، وقال؟

قال ان العين لتدمع، وان القلب ليحزن، فده سلطان الربوبية البخوف، وكذلك عزة الامتناع، يعني تسأل الله ما يديك، وعزة الامتناع انه يمنع ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ قال ليك الزول لما نستحضر هذه المعاني حتى لو كان قريب من ربنا، بيخاف، لو عنده قروش كثيرة بيخاف، بيقول في ناس اغنى مني، بيتخيل هذه المعاني في معاني الربوبية وعزة الله وقهره وهذا يقود نحو معاني تعديد القلب لله الواحد الديان سبحانه وتعالى، ختم العلامة ابن القيم رحمه الله منزلة الخوف من الله عز وجل بفصل قال القلب ينبغي ان يتقلب بين الخوف والرجاء والمحبة، بالنسبة للمؤمن المحبة كالرأس للطائر، الطير عنده شنو؟ الراس دي المحبة، ولها جناحان، احدهما الخوف والثاني شنو؟ الرجاء اخاف من ربنا؟ ولا احبه؟ انظر لرحمته ولا انظر لعقوبته؟ انظر لجنته ولا لداره؟ انظر لانتقامه ولا لعفو؟

انت ما تغلب واحد على واحد تمشي بين كلهن سوا المحبة هي الراس واي جناح فيها ينقطع وكان خدت جوانب الرحمة وما خفت بتقوى على المعاصي ونفسك بتستصل مع الشهوات فلابد من التوازن، لذلك قال السلف يفضل للسائل الى الله ان يكون قلبه في ايام الصبا والشباب ان يغلب الخوف، ويكثر من نصوص الوعيد، ليه؟ لان سلطان الشهوة طاغي هو يحتاج الى قهرها والجامها، وان تقدم السن وقرب الاجل ان يغلب جانب شنو؟ الرجاء وحسن الظن بالله والمحبة هي الاساس، ويا اخواننا لا يمكن ان نتخيل انفصال المحبة من الخوف، الا في البشر، في الله لا يمكن، يعني واحد يقول لك تخاف منه يا تحبه، لا نحبه ونخاف منه، وهذا شنو؟ لانه ربنا كان خفت منه بتحبه، وانت بتحبه ممكن تخاف منه، وهو الوحيد سبحانه، وسبحان الله، كل ما ازددت خوفا منه كلما ازددت قربا وفرارا اليه وليس فرارا منه، بعكس المخلوقات، قال ليه قال لي لا الرصاص شغال في الخرطوم، ما بتطلع من البيت، قال لك النار تمشي ايدك عليها لكن ربنا كلما ازددت خوفا كلما ازددت اقبالا له سبحانه.

اما الذين قالوا اما محبة اما خوف يتخيلوا ان الخوف يجعلك تفر من من؟ من الله؟ الخوف وشنو؟ والمحبة ولكن العلماء يقولون ينبغي ان تكون المحبة هي الاغلب، ويمثل ابن القيم المحبة والخوف والرجاء كالمركب، في البحر، قال لك المركب للمحبة، حاديها الرجاء، حاديها الرجاء بشنو؟ الهوا، وسائق الخوف وفعلا الخوف بيسوق الزول نحو الطاعة بيسوقك نحو الطاعة، يطلعك من الشهوات بيطلعك من الملذات بيطلعك من كل هذه، لذلك نكون قد وصلنا الى نهاية منزلة الخوف من الله عز وجل، على امل ان نلتقي.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/halqa/23/شروح-الكتب/شرح-كتاب-مدارج-السالكين

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com